كافر

وحيُ شيطانٍ مريد

زهير ميرزا

كافر

وحيُ شيطانٍ مريد

تأليف
زهير ميرزا

هنـــداوي

كافر

زهير ميرزا

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٣ ١٨٨٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

الإهداء	٧
الحقيقة الكبرى	٩
بين جنديين	١٥
لقاء	٢٥
كافر (وحي شيطان مَرِيد)	٣١
غانية وفكر	٤٩
وجهة نظر	٦١
مصرع المثَّال	٦٧

الإهداء

إلى الجليل المتصاعد الذي نحن أمُّه وأبوه أضع هذه اللَّبِنة المُتواضِعة في صرح فكره الحي الخالد:

يهزج بـ «هزيج الأبطال»،
ويهتف بهتاف الأجيال،
ويتعالى على ذرى الأجبال،
رائده الفكر، ومرقاته الفكر، واتجاهه:
نحو مطلع الشمس!

زهير ميرزا

ح ...
في ١٩٤٨/٨/٦

الحقيقة الكبرى

حوار شعري في منظر واحد

(إلى «توفيق الحكيم».)

(شهرزاد مُكبَّة على الديوان العريض وداخلة في تأمل بعيد.)

(يدخل قمر.)

قمر:

شهرزاد ... ...

شهرزاد:

... مَن؟ ... ...

قمر:

... ... جئتُ! ... ...

شهرزاد:

... ... ليتك ما جئـ ـــتَ ... ...

قمر:

لماذا؟ ... ...

شهرزاد:

... ... الطيف أحلى ارتيادًا

قمر:

شهرزاد؟ ... ...

شهرزاد:

... هي الحقيقة يا حبي

قمر:

ولمْ جاءَتْ؟ ... ...

شهرزاد:

... ... لا تَسلْني ازديادًا

إنَّ طيف الحبيب أجملُ منه ودُنا الوهم ما تُملُّ حصادًا

قمر:

فيم بُدِّلتِ؟ ... ...

شهرزاد:

... ... لم أُبدَّلْ سوى قلـ ـب يمل الحياة شيئًا معادًا

قمر:

أأنا «الشيء»؟ ... ...

شهرزاد:

... ... بل أردتك «شيئًا» خـالـدًا ... ...

قمر:

... كيف؟ ... ...

شهرزاد:

... ... أن تشط ابتعادًا

قمر:

لستُ أسطيع! ... ...

شهرزاد:

... ... فلتزرنيَ طيفًا

قمر:

وخفوقُ اللِّقاء؟ ... ...

شهرزاد:

... ... هَبْهُ حَصَلْ

قمر:

ودُنا الحب، والحديث وقوت الـ ـلحظ والمسكرات والـ ...
كيف أحظى بكلِّ هذا خيالًا؟ كيف يرضى — إما رضيتُ — الأَمَلْ؟
نحن، أهل الغرام، يُدفئنا الوعـ ـد ففي وهمه نُغذِّي الأَجَلْ

شهرزاد:

قم تزوَّد ... ...

قمر:

... ... وبعدُ؟ ... ...

شهرزاد:

... ... أقصِرْ ...

قمر:

... ... هبيني لا أُطيقُ البعادَ ... ...

شهرزاد:

... ... اَلقلب مل!

قمر:

ملَّ منِّي؟ ... ...

شهرزاد:

... ... لا، من حقيقتك الشو هـــــاء! ... ...

قمر:

... ماذا؟ ... ...

شهرزاد:

... ... لقد خبوتَ حبيبًا

كلُّنا عاشَ في الحقيقة والوهـ ـمِ، فحسبي لقد مللتُ الرتيبا
إن تكن نائيًا أحبك أضعا ف غرامي إن كنت منِّي قريبًا

قمر:

شهرزاد! ... ...

شهرزاد:

... لن تُجْديَ الصرخة الكبـ ـــــــرى ... ...

قمر:

... أأمضي؟ ... ...

شهرزاد:

... ... أجلْ ... ...

قمر:

... ... وداعًا ...

شهرزاد:

... ... وداعًا

وضعت عام ١٩٤٤ بالسويداء

بين جنديين

حوار في منظر واحد

(إلى «الجندي السوري».)

(في الخطوط الأمامية؛ الخندق.)

الأول:

يا أخي! ... ...

الثاني:

... ... مَن؟ ... ...

الأول:

... ... محارب! ... ...

الثاني:

... ... بورك اسمٌ! ما الذي تبتغي؟ ... ...

الأول:

... ... لقد ضقتُ صدرًا!

الثاني:

ضقتَ صدرًا، بأي شيءٍ؟ ... ...

الأول:

... ... بـهـذا الــ ـجو! بالبارود اللعين ...

الثاني (آمرًا)**:**

... ... أسِرًّا[1]

الأول:

لستُ أقوى؛ فقد تبدَّتْ لعَيني مِـيـتَـتِـي! ... ...

الثاني:

... بئس ما تقولُ وتَجرا

اخفض الصوت ... ...

[1] تكلم سرًّا.

الأول:

... ... لن أُكبِّل وجدا نــي! ... ...

الثاني:

... أتقوى على الخيانة جَهرًا؟

الأول:

إي! ... ...

الثاني:

... اقتربْ منِّي أَستمِعْ لكَ رأيًا

الأول:

أيَّ رأي تودُّ؟ قد نؤتُ صبرًا
كلَّ يوم ليَ اندفاعٌ إلى المو ت، أُلاقي في جانبيه الأمرَّا
أنا إما سُلِّمْتُ يَومي، فما أمـ ـلِكُ مِن بَعدِه السلامةَ شهرًا

الثاني:

يا أخي! ... ...

الأول:

... ... مَن؟ ... ...

الثاني:

... ... ضميرُك الحرُّ! ... ...

الأول:

... ... قد ما تَ! ... ...

الثاني:

... أخوكَ الجنديُّ؟! ... ...

الأول:

... ... أُودِعَ قبرًا

الثاني:

أمُّك الأرضُ! ... ...

الأول:

... ... كفَّنَتْ أمسِ إخوا نـــي! ... ...

الثاني:

... أبوكَ الإخلاصُ! ... ...

الأول:

... ... مِنِّي يَبرا

الثاني:

وطنٌ يَرتَجيكَ! ... ...

الأول:

... ... إن مـــتُّ فـــالأر ماسُ أَوطاني! ... ...

الثاني:

... ... لم تمت! ... ...

الأول:

... ... أنـــت أدرى
أنـا، إمـا بـقـيـتُ، سـوفَ ألـقـى مـيـتـةً هـولُـهـا يُـحـدِث ذِكـرا
ميتةً لـيس يَدفع اليوم عنها طـولُ بـاعٍ ولا مـكـانـةُ كِسـرى
كلُّها الغدر ... ما يَمينُك بالسيف تُداري الموتَ المُعاطيكَ غَدرا!
رُبَّ طـلـقٍ أُريـدَ مـنـه دعـابٌ أحدثَ اليوم في الجوانح جُحرا
أو هـواءٍ قـد سـمَّـمـوهُ فـراحَ الـ ـجبسُ بالندسِ والصناديد خُسرا
أو فـتـيـلٍ قـد أشـعـلـوهُ فـدكَّ الـ أرضَ دكًّا، وأمطرَ الناسَ جَمرا
فـتـهـاوَوا كـأنـهـم ورقُ الأشـ ـجارِ ... مرَّت بها الأعاصير تَترى
وإذا هم مِن بعد ذا مُستحاثا ت! ... وعادَ الوجود يَطفح بِشرا
ضلَّ عهدُ البارودِ والغاز! ... فالنا سُ تساوَوا مِن بعد ذَينِكَ قَدرا

الثاني:

يا أخي! ... ...

الأول:

... ... مَن؟ ... ...

الثاني:

... ... محارب! ... ...

الأول:

... ... نوهضَ اسمٌ!

الثاني:

استمع لي عسى أحيطك خُبْرًا
ما جمال الحياة؟! ... ...

الأول:

... ... نهلة كأس لم تشُبْها الأكدار ... ...

الثاني:

... ... قد شئت أمرًا
أجميل من الوجود صباحٌ لم يلدْ ليله مع الكرْه، فجرًا؟

الأول:

لا! ... ...

الثاني:

... جميل من الوجود رياضٌ لم يَلْهها الشتاءُ رعدًا وقَطرا؟

الأول:

لا! ... ...

الثاني:

... جميلٌ من الوجود صَفاء لم يُطعَّم شجًى ولم يَنزُ ذِكرى؟

الأول:

لا! ... ...

الثاني:

... أَتستطيع أن تنال ورودًا دون شَوك يَجرح الكفَّ قَسرا؟

الأول:

لا! ... ...

الثاني:

... أخي! أُدنُ لا تخف وأجبني أفرارًا تنجو مِن الموت؟ ...

الأول (يُطرِقُ مُتفكِّرًا):

... ... صبرًا!

الثاني:

يا أخي، أُدنُ لا تخَف وأجبني إن طلبْنا الفرارَ، نَخلُد دهرًا؟

الأول:

لا، ولكنْ نُؤَجِّلُ الموت! ... ...

الثاني:

... ... قــل لــي: أحياة الإذلالِ تُحسَبُ عُمرًا؟

الأول:

لم أقل ذا! ... ...

الثاني:

... ... إذن أجبني: أترضى بحياة نُباع فيها ونُشرَى؟

الأول:

خسـئ العُمر أن أبـاعَ؛ فـغيري يَرتضي ذاك، وهو بالعَبد أَحرى!

الثاني:

أيُّ فرق بين العبيد وبينا إنْ طلبنا الفرار ممَّن تجرَّا؟

الأول:

إنْ رغبْنا الفرار؟ من قال هذا؟!

الثاني:

أنتَ قد قُلتَه! ... ...

الأول:

... ... لـقـد قـلـتُ إمـرا
لا تـدعْـنـي أنـام إلا وقـد أفـ ـرغْتُ حقدي نيرانَ تَطلُب صدرا ...
فـلـنـا الـيـوم عـزَّةٌ دونَـهـا الـشـمـ ـس! وإلا فـاحـفـر لـنـا الآنَ قَـبـرا!

لقاء

حوار في منظر واحد

(إلى عذارى بابل.)

(بين فتًى وفتاةٍ في طريق منفردة.)

هو:

أيها الحسنُ! ... ...

هي (نافرة)**:**

... ... إنأَ، لا تَقترِب منِّـــي ... ...

هو:

... لماذا؟ ... ...

هي:

... ... أخاف منكَ عليَّا

هو:

لا تخافي فكُلِّيَ الحب والتحـ ـــنـــان ... ...

هي:

... لا! لا. أرجوكَ دعني وهيَّا
إنَّ قلبي كصفحة الماء؛ إنْ مـ ـرَّ عليها النسيم خلَّفَ شيَّا
لا تُـعـذِّبْـنـي ... ...

هو:

... ... بل سأُسعدُكِ اليو مَا! ... ...

هي:

... يقينًا لا ... ...

هو:

... ... أتخشين قلبًا فتيًّا
جاء يسعى إليك، يدفعه الشو ق، وحبٌّ هدهدتُه بيديَّا؟

هي (نافرة):

ما الذي قلتَ؟ إنأ، لا تقترب منِّـ ـي. أخافُ الهوى على مُقلتيَّا
وحرامٌ عليك تُذبل جَفنَيـْ ـيَ سهادًا فما أتيت فَرِيَّا

هو:

أهو الحبُّ يُذبِل الجَفن؟ ...

هي:

... ... إرحَمْـ ـني! ... ...

هو:

... حنانيكِ! لا تُذيبي شَقيًّا
تيَّمتْني عيناكِ ... ...

هي:

... ... رفقًا بقَلبي!

هو:

لو ملكتُ الإشفاقَ ملتُ إليا

هي (متوسلة):

لا تُعذِّب صبيةً، وردة اليو م، ومِل بالشِّراع عن شاطئيًّا
إن تكن عاشِقي، فدُونَك دُنيا الـ ـفكر، فاعشَق بها خيالي سِنيا

هو:

وغرام العيون؟ ... ...

هي (ترسل إليه ببصرها):

... ... أسقيكَ منها الـ آن ما تَبغي ... ...

هو (مستغرقًا في نعيم ناظريها):

... ... أيها الحسن! ...

هي:

... ... هيا

هو (مأخوذًا):

ما السلافُ المعتَّق الآن؟ ما السحـ ـر المغذِّي ينساب في ناظريَّا
ما الحياة التي أحسُّ؟ وما هـ ـذا الذي يَسري في عُروقي؟ أَفِق يا

هي:

قد أفاقَ الذي دعوتَ! ...

هو (مضطربًا):

... ... أحقًّا؟

هي (دامعة العينين):

ليتَ لي أن أقولَ ما ليس فيَّا

هو:

أنتِ أنقى من الشعاع! ...

هي:

... ... ولـــكـــن أنتَ لوثتني! ... ...

هو:

... ... أبالحب؟ ...

هي (لا تجيب):

...

هو (راكعًا):

... ... لميا!

هي:

كنتُ في جنَّتي، فصوَّحتَ روضي وأملْتَ الغُصونَ شيئًا فشَيَّا
ودفعتَ الشقاءَ بالكأس حتى ذاب في مِذوَقي فأضحى شهيا
ما الذي فيه؟ ... ...

هو:

... ... كل لذٍّ وإن كا ن مـــريـــرًا ... ...

هي:

... ... رضيتُه عبقريًّا

هو:

لم تَعُدْ وحْدكَ الذي يَتلوَّى!

هو:

رحمةً بي! ... ...

هي:

... ... إذهب وعُد لي نبيًّا!

دمشق ١٩٤٦

كافر (وحي شيطان مَرِيد)

فصل في منظرين اثنين

أقولها لكم:
«لن تؤمنوا حتى تَكفُروا، ولن تكفروا حتى تُؤمنوا.»
تلك هي تعاليم الفكر الواحدة في الأرض الخالدة.

* * *

حديث في الملأ الأدنى! فلا تَسترسلوا.

بدئ بوضعِه عام ١٩٤٣ ولَّما ينتهِ عام ١٩٤٨

تمهيد

خطوتُ على جدثٍ مُنتِنِ وأوغلتُ في الزمن الأرعَنِ
وفي خاطري همساتُ عسى تُشدِّد من عزميَ المُنثني
شبابٌ، ومَن كالشَّبابِ إذا اعـ ـتراهُ الشعورُ المُفيض الغَني؟
يُدافع بالمَنكِبِ الغادِرات ويُترِعُ كأسَ الهَوى بالأَمَلْ
ويضحكُ ثغرٌ، وقلبٌ، وخا طرٌ، والنُّهى، ضحكة للغزل

يُريد الحياة كما يشتهي جنونًا وطيشًا بلا ثَمنِ
وفي الكونِ هذا، ولكن تُرى مفاتيحُه بين أيدي منِ؟!

* * *

ركبتُ مع الرِّيح أسعى إلى السـ ـسماء وفي خافِقي لهَفُ
وجزتُ حزونَ الموانع ما يُعارضني خاطِر مُرهَفُ
وأيقنتُ أني سأَحظى بما أريد، وفي همَّتي مُسعِفُ!
وحلَّقتُ حتى تركتُ الذي بنفسي من خاطرٍ يائس
وصفقتُ بالجانِحَينِ إلى رياضٍ من الأمل الناعِسِ
فلما قَرُبتُ، تلاشى الهواء وغام الفضاءُ فما أَعرفُ
وأهويتُ نحو ثراي وبي بقية أهواءَ تُستنزَفُ!
تقاربتُ، بالفكر، من خالقي وأوسعتُ خَطوي فما أَرجِعُ
يُشجِّعني أمل باسم وتشملني قوة تدفع
شبابٌ وفكرٌ وعزمٌ وما يُريد الخلودُ: هوى يرفع
إذا بي يُحطِّمني مَن له اقـ ـتدارٌ ليَرفعني عاليا
ويسعى ليَبني على جَدثي وما كانَ إلا فتًى غاليا
يلازمني الحسُّ يدفعني فأرضى، ويغضبُ إذ أقنَعُ
وما كان إلا نَعيمي ومقبـ ـرتي ... ثم لي فيه ما يَشفعُ

* * *

أنفتُ من السَّعي في مَركبي وعُدَّتُه مُتلَفاتُ الشِّراع
وهذا الوجودُ على رَحْبِه تَضايَقَ حتَّى غدا طولَ باع
فطرتُ على جانِحَي فكرة أُيَمِّم ما لم أَزُرْ مِن بقاع
فلما بعدتُ، بَكى خافِقي فعذبتُهُ بالصُّدودِ الأَصم
فثار لنكبتِهِ خاطري فغذيتُه بالأَسى والألم
إذا بي أبرأ مِن واقعي يُطهِّرني في رُؤاه اليَراع
وعاد الوجود على ضيقِهِ كبيرًا يَمدَّدُ لي في اتِّساع!

المشهد الأول: المحكمة العليا

(في قمة جبلٍ صخريٍّ، في إحدى مغاراته الرهيبة، يجلس في صدر المغارة المُوحِشة شيخ جليل، وعن يمينه ملاك وعن يَساره مارد، وأمامه يَقتعد الأرض إنسي، وعلى مَبعدة تتصاعَد ألسنة اللهيب.)

الشيخ:

روِّعوه، إن استطعتم، فقد عا ث فسادًا، وأمطر الأرضَ كفرا
وأتى بالعجيب، حتى أثار الذُّ عرَ في الأرض، واستبدَّ مُصِرًّا
مـا تـقـولـون؟! ... ...

الملاك، المارد، الإنسي:

... ... بئس! ... ...

الشيخ:

... ... بورك فيكم! سوف نأتي به ليشرح أَمرا

لم يكن من حقوقنا حملُ همِّ الأرضِ! لَكِنْ: لكلِّ أَمرٍ قرارُ
سكرَ الأمسَ، واستبدَّ بها اليومَ وروَّى الأحداثَ ما يَختارُ
ولو انْ يَكتفي اكتفينا. ولكن شطَّ في الغيِّ فالسكوتُ صَغارُ!

* * *

نحن قُمنا في الأرض، أسيادَها الكُفْ ء فما إنْ نقولُ بالطغيانِ
وعلمنا عن الحياة كثيرًا وسَهونا عن طينةِ الإنسانِ
جُبلَتْ مِن مياهِ مُستنقَعٍ رجسٍ، وصلصالُها رفاتُ الهَوانِ

* * *

إنما «هُو» حقيقة الإنس جمعا ء، و«هي» فتنة الوجود اللعينِ
قد سُقي من رحيقها، وسَقاها مِن رحيقٍ عَصيرُه مِن طينِ
وتبنَّى — كما تبنَّت — شحوبَ الر أي في أرذلِ الوجوهِ المَهينِ!

* * *

أَحضِرُوه مُكبَّلًا بقيود الـ ـوهم والخِزي والأسى والآثامِ

الملاك:

واطرَحُوهُ أمامَ مَحْكَمة العد لِ ليَلقى جزاء ذاك الكلامِ

الإنسي:

ودعوه يقول ... ...

الشيخ:

... ... لا لا! فما كا ن له أن يقول غير مرامي!
أحضِروه! ... ...

الإنسي:

... ليُؤتَ بالفَنَن الذا وي! فقد طال في الغياهب لُبثُه
هو في غيهبَين: نفسٍ وسجنٍ وهو في الناس كافر ضلَّ بحثُه
وهو منه ضحية القلق الجبـ ـار ... ...

الشيخ:

... لا لا! فقد أضلَّكَ خُبثُه!

المشهد الثاني

(«هو» يأتي مكبَّلًا بالسلاسل وعلى وجهه مخايل كفره!)

الشيخ:

أنت «هو»؟ ... ...

هو:

... ...؟ ... ...

الشيخ:

... ... قُلْ! ... ...

هو:

... ... أجل! ... ...

الشيخ:

... ... وأُمُّكَ «تلك»؟

هو:

؟ ... ...

الشيخ:

قل! ... ...

هو:

... أجل! ... ...

الشيخ (متذمِّرًا):

... ... ما أرى لكَ اليوم ناصِر!

وأبوكَ المسكين «ذاك»؟ ... ...

هو:

... ...؟ ... ...

الشيخ:

... ... أجبْ! ...

هو:

... ... لا!

الشيخ:

كيف؟ ... ...

هو:

... لا! لم يكن أبي صنوَ حافر!

الشيخ:

لا تَفُهْ مُقذِعًا من القولِ! ...

هو:

... ... لكن

الشيخ (ملوحًا بقبضته):

ليس في عُرفِنا لواكنُ[1] كافِر!
مَــن تُــراهُ أبــوك ... ...

هو:

... ... «ذاك» ...

الشيخ (ملتفتًا يمنة ويسرة):

... ... وأنــتــم وزِّعوا عنه قيدَه والشَّنارا

(يُوزَّع عنه قيدُه، وينتقل اللهب إلى وسط المغارة أمام الشيخ الجليل.)

الشيخ (لـ «هو»):

اقترب! ... ...

هو (يقترب):

الشيخ:

... أيضًا ... ...

[1] لواكن جمع لكن.

هو (يلبث في مكانه):

الشيخ:

... ... ما لك اليوم تخشى النَّـــــارَ؟ ... ...

هو:

... حسبي! فما أطيق النَّارا

الشيخ:

كيف طقت الوجود تُصهَر فيه كافرًا ... ثم خفتَ الشَّرارا؟!

هو:

كان لي في الحياة كفري معينًا ثم أضحى المُعينَ شيطانُ شاعِر

الشيخ:

كيف؟ ... ...

هو:

... لا أدري! ... ...

الشيخ:

... ... بل أجب! ... ...

هو:

... ... لستُ أَسطيـــــع! ... ...

الشيخ:

... جبان! ... ...

هو:

... ... بل غيرُ هذا! ...

الشيخ:

... ... مكابرا!
وستَدري أن المصير سيَلقا كَ عـــنـــيـــدًا ... ...

هو (متهكمًا):

... ... وبعدها؟ ...

الشيخ:

... ... ستُجاهِرا!

هو (بحزم):

علَّمتني عقيدتي أن مَن يقـ ـضي بدنيا آرائه فشهيدٌ!

الشيخ:

ثم ... ...

هو:

... صمتٌ! ... ...

الشيخ:

... ... وبعد؟ ... ...

هو:

... ... صمتٌ! ... ...

الشيخ:

... ... ومن بعـ ـدهما؟ ... ...

هو:

... صمتٌ! ... ...

الشيخ:

... ... أنـت غـرٌّ عـنـيـد
نحن في كفِّنا كتاب مَواضيـ ـــــك ... ...

هو:

... اطرحوها ... ...

الشيخ:

... ... بل قُل لنا ما نريدُ

هو:

عبثًا تَطلُبون منـي اعترافًا أنا أَودعتُه مِن الصَّدرِ قَبرا
تَستطيعون كل شيء سوى الإكـ ـــــراهِ! ... ...

الشيخ:

... بل نَستطيعُه الآنَ قَسرا

هو:

حاوِلوه! ... ...

الشيخ:

... خسئتَ مِن كافِر غـ ـرٍّ ... ...

هو (بعناد):

... سواي الْـ ... ...

الشيخ:

... بل أنتَ أوضَعُ قَدرا

هو:

فيم تُؤذونَني؟ ألم أكُ حُرًّا؟

الشيخ:

كنتَ حُرًّا مقيدًا! ... ...

هو:

... ... لستُ أفهَم!

الشيخ:

غيرُ مجدٍ إفهامُكَ الآن! ...

هو:

... ... تضليـ ـلٌ! ... ...

الشيخ:

... صَهٍ! ... ...

هو:

... ... لا! ... ...

الشيخ:

... ... ستَصمُت الآنَ مُرغَم

هو:

عجبًا! تطلبون مني اعترافًا فإذا فُهْتُ قيل: لا تتكلَّم
لي حقٌّ وليس لي أيُّ حق! منطقُ الأرض ثَمَّ أقوى وأدعم

الشيخ:

لست في الأرض! ... ...

هو (صارخًا):

... ... أين؟ ... ...

الشيخ:

... ... في الملأ الأد نـــى! ... ...

هو:

... أأجثو؟ ... ...

الشيخ:

... ... مخيرٌ! ... ...

هو:

... ... بل مُحطَّم!

الشيخ:

فليَكُن! ... ...

هو:

... كيف؟ ... ...

الشيخ:

... ... أنت حرٌّ! ...

هو:

... ... أُرانـــــي نُؤتُ فكرًا بين التناقُض مُبهَم
أنا حرٌّ ولستُ حرًّا ... فكيف الـ ـجمْع ... ضدان ضمنَ كفَّة حابِل؟
أرهقتْني حقائقٌ في وجودي وأضلَّ التفكيرُ ميزانَ عاقِل
كلما شئتُ أن أخطَّ كتابي قيل: لا تجترئ فقد قال قائل!

* * *

عذِّبوني، إن استطعتم، بجسمي فوجودي قد كان أدهى عذابِ
منَحوا عقلًا قال لي: أنت مشدو دٌ إلى «اللَّوح» و«الدُّنى» و«الترابِ»
لا تَكن كافرًا تَخِب! ودعِ الإيـ ـمانَ تسليمًا تنجُ! يا لاضطرابي!
كيف خُيرت؟ كيف أجبرت؟ لا أد ري! ... ...

الشيخ:

... ستدري من بعدُ ... ...

هو:

... ... قد ضقتُ صبرا
كل شيء مُعلَّقٌ بانتظار الـ «بعدُ» ... والـ «بعدُ» مُغلقٌ ليس يُدرى
والذي أغلق الوجود عليه شاء أمرًا، ونفَّذَ اليوم أمرا
ولنا — لا لغَيرنا — حقُّ تَسطيـ ـرِ مَصيرٍ سؤالنا عنه حَشرا
كيف يَجني امرؤٌ ويُسأل عنه غـــيـــره؟ ... ...

الشيخ:

... أنت لم تُحِطْ به خُبرا
لستَ تَجني إلا أثامًا وتُرغِي قد ضللتَ الصوابَ عقلًا وفكرا

الملاك:

فلنُؤَدِّبْه ... ...

المارد:

... فلنُعَذِّبْهُ ... ...

الشيخ:

... ... لا لا! سوف أُشقيهِ بالخَيالِ المُجنَّح

الإنسي:

شقوةُ الناس بالحياة، وآما لهمو بلسم لجرحٍ تقيَّح
لا تُعذِّبْه بالخيال وأنت الـ ـــعــدل! ... ...

الملاك:

... بل زِدْهُ بالحنين المُبرَّح
صِله طورًا، واهجرْه طورًا، ولقِّنْـ ـهُ التَّسامي، ودعْهُ في الوَحلِ يَضبَح

المارد:

واحبُهُ المال لا يُقيم له أَو دًا ... وجرِّدْهُ مِن يقينٍ مُوضَّح
ثم واجعل أليفَه شرَّ مَن فهم الألـ ـفة ... وامنع دموعه أَن تُسفَح
ثـــم ... ...

الإنسي (صارخًا):

... يَكفي! ... ...

الملاك:

... ... لا! ... ...

الإنسي:

... ... بل كفى! ... ...

الشيخ:

... ... أنتَ منه!

الإنسي:

إن هذا ما لا تطيق الجبالُ

عذِّبوهُ بجِسمهِ، إنْ أردتُم

الشيخ:

إنَّ أقصى الجزاء فيه الخيالُ

مـا تـقـولـونَ؟ ... ...

الأكثرية:

... نِعمَ! ... ...

الشيخ (مشيرًا إلى «هو»):

... ... بـورك فـيـكـم عُد إلى الأرض! دارُكَ الأَوحالُ!

هو:

حُكمكُم حكم مَن تحكَّم قبلًا ... أنتمُ عصبة وإني وحيدُ
عذِّبوني وأرهقوني خيالًا ... وارجُموني كما يشاء المُريدُ
ودعوني حتى أغوصَ لفرعي ... في وحول الحياة ... لستُ أَحيدُ
أطعموني عصارةَ القَذرِ المُرِّ ... وهاتوا ما تَرتضيه العبيدُ
وادفعُوا الرجسَ في دَمي يتمشَّى ... ودعوا الإثمَ في عروقي يَزيدُ
واملئوا لي فمي تُرابًا؛ فقد ما ... تَ، كلامٌ لم يَستسغْهُ الوجودُ
وانبذوني — كما نبذتُكُم الأمـ ... ـس — وقولوا: هذا شريدٌ طريدُ
واكفُروا بي، كما كفرتُ بغيري ... إنَّ شيطانَنا وحيدٌ مَريدُ!
خالقُ «الشيء» مُؤمِنٌ بقُواه ... فإذا عقَّهُ أتاهُ الجُحودُ
لا تَلوموهُ إن تلوَّى شكوكًا ... فلقد ساقَهُ إليه القيودُ
الغواياتُ في دمي تَتنزَّى ... والشراايين فجَّرَتْها السدودُ
والمَفاهيمُ عطَّلتْها التقاليـ ... ـدُ وأَودى بطُهرِهنَّ السجودُ
السجودُ المرير للأرض والنَّفـ ... ـس! وبعضُ السجود ذلٌّ عنيدُ
والبراءاتُ وسَّختها القَوافي ... والدناءات شجَّعتْها الحدودُ
والقوانين تَدعم الشرَّ للشرِّ! ... وضَلٌّ[٢] ما ندَّ عنه وليدُ!
عطَّلوا الأرضَ من عُصارة طهرٍ ... فإذا مُمرعُ الرياض حصيدُ
وإذا الأرضُ منبت الشر لا يَقـ ... ـوى على فصدِ شرِّها مَفصودُ
كلما أنبَتَ السموُّ نباتًا ... أيبَسُوهُ! فلن يكونَ جديدُ!
كل حرٍّ بين العبيد رقيقٌ ... أفنرجو أن يُسترقَّ العبيدُ؟
اصنعوا ما بدا لكم وادعَمُوهُ ... نطقَ الظلمُ فيكمُ ما يُريدُ
علَّمتْني عقيدتي: أنَّ مَن يقـ ... ـضي بدنيا آرائهِ فشهيدُ!

(يساق.)

[٢] ضلٌّ: أي ضلال.

غانية وفكر

حوار في منظرين
من الكفر الأول

عذاب ...

لا ترغي في هوى الجسد فالشهوة اليوم تضطهد
وطهري جسمك الذي دنسه حب مفتقد
لا تتلوي على الوسائد التي تنهك الجسد
حسبك تذويب هذه القوى على مذبح نكد
تعتصرين الرغاب قسرًا باشتعال لتبترد
ما لك منفوشة الشعور في جنون وفي جهد
لاهثة كالتي غدت رهينة سوط مضطهد
براقة العين كالتي تعوزها وثبة الأسد
مفغورة الثغر شهوة تحوطه موجة الزبد
أتعبك الجسم يا فتاتي وسيرميك بالكمد
أن صريع الرغاب كالمجنون يحيا بلا قود
تقوده شهوة ستحرق الحياة التي يود!

١٩٤٣ / ٦ / ٢٣

المنظر الأول

(قاعة أنيقة يقوم على جنباتها أثاث نفيس – صور راقصات وأشباح عارية – لوحات جنسية مختلفة ورائعة – في منتصف القاعة آنية يتصاعد منها خيط من بخور معطر – أزهار في أوان – ثريات كهربائية نفيسة – أضواء ناعمة مترفة.)

هو:

كيف ... ...

(يقلب نظره في ساعة ذهبية في مِعصَمِه.)

... لم تأتِ ... ...

(يدور قليلًا ويتضمخ بالعطر الفواح.)

... ... ويحها تُخلف الميـ
ـــعـــاد؟ ... ...

(مؤكِّدًا):

... لا! إن طـبـعـهـن الـوفـاء
هنَّ ظلُّ الرجال، ما عزَّ منهم جانب، كيف لا تناهى الإباء؟
حسبهنَّ الألفاظ تترى على ثغـ ـرٍ أنيق ليُستحل المنيعُ
لـفـظـة أو رشـاقـة أو ريـاء أو وعودٌ أو قُبلةٌ أو دموعُ
فـإذا حِصنُـهـنَّ يَنـهـار أطـلا لًا ... ويَخفْنَ كبرياءً تميعُ
ذلك الجنس في وضاعَة مبنا ه تساوى لديه رغدٌ وجوعُ
غـيـر أنـي ... ...

(يدوي الجرس الكهربائي.)

... ... أتت! ... ...

المنظر الثاني

(تدخل «هي».)

هو:

... ... إذن قد تأخرْ تِ ... ...

هي:

... كثيرًا؟ ... ...

هو:

... ... وددتُ لو جئتِ قَبلا
كنتُ غيرتُ فكرتي ... ...

هي (وفي فمها لفافة تبغ):

... ... هـاتِ لـي جَـذْ وَةَ نارٍ، وقل ليَ الآن: أهلا

هو:

لم أكن مالكًا قُوى الفكر، فالقلـ ـــــــب ... ...

هي:

... على عادةِ الرجالِ المُثلى
أنتمو دائمًا بقايا اضطراب الـ ـجنس، حينًا تَسهُون، حينًا كلا

هو:

ما الذي فيك؟ ... ...

هي:

... ... فكرة! ... ...

هو:

... ... أترى أسـ ـطيع تبديلها؟ ... ...

هي:

... ... خشيت بأن: لا

هو:

أنت لغزٌ بدا، ويُوشِك أن ينـ ـحلَّ في كأس خمرة أو شهوه
ويقيني إن النساء بقايا قطراتٍ من غُلمة ليس جذوه
ما تقولين في كُؤَيسٍ من الخمـ ـرة؟ ... ...

هي:

... لا بأس غير خمر ضعيفهْ
نحن نأبى العجاف حتى من الخمـ ـرة أمـا أنـتـم ... ...

هو:

... ... فنفس عنيفه
تقبل الطازج الشهي وترضى ببقايا إنسانة كالجيفهْ
حُوَّمٌ نحن حول منتن جسم كالنسور المحلِّقات المُخيفهْ
إنما نطلب الغذاء ... ولو كا ن بمستنقع بدت محفوفهْ!

(ينهض ويُحضِر آنية مع كُؤَيسَين.)

هي:

فلسفات تضيع في حلْبة المعـ ـــقـــول ... ...

هو:

... هذا شرعي! ... ...

هي:

... ... شريعة غُلْمَه
لحظة، بعدها ترفُّع مغرو ر، ومن ثَمَّ كبوة، ثم نقمهْ
ما نراكم إلا فتات رجال تتهاوَوْن من أعالي القمهْ
وغـدًا ... ...

هو:

... ما غد؟ ... ...

هي:

... ... رجوع إلى الما ضِـــي! ... ...

هو:

... أتفنى لذَّاتنا؟ ... ...

هي (بتهكُّم خفيف):

... ... لا! ستَحيا.

هو:

وا يقيني! قد خفت أن تتلاشى جُبِلت في دمي طبيعة جنسي
غَرفة ... ثم بعدها فليخبَّ الـ عمر ... إنَّ الحياة رعشة لمسِ
في دمي قد جرى التناقض: من نفـ س كبركان والشعور بنفسي
قـلـقٌ قـام ... ...

هي:

... ... لا تخف! ... ...

هو (بقلق):

... ... كيف؟ ... ...

هي:

... ... هـات الـ ـكأسَ ... ...

هو:

... من ثَمَّ؟ ... ...

هي (مُجتذبة الكأس إلى ثغرها):

... ... غيبة عن وجودِ

هو (خائفًا وجلًا):

بعدُ؟ ... ...

هي (بإغراء):

... دنيا من الملاحة والإر ضـاءِ ... ...

هو (بذُعر شديد):

... لا، لا ... ...

هي (بتخاذل):

... ... اشربْ! ... ...

هو (نافرًا):

... ... خداعٌ فحيدي

هي:

لِمَ تخشى النساء؟ ... ...

هو:

... ... لا، لـسـتُ أخـشـا هن؛ بل أخشى من يذرُّ وجودي
أنـا أبـغـي جـسـمًـا تـوقَّـد بـالـنـا ر ... ولـكـن لا يَـحـرِقـنَّ رغـابـي

جسد المرأة اللعين خطايا تشتوينا ولا نَنِي باقتراب
شمعة النور تَخلِب الغرَّ مِن كلِّ فَراش فيرتضي باللهاب
يتدانى من منبع النار والنو ر فيمسي — لبرهة — في التهاب!

هي (بإغراء وتخاذُل):

لا تَخَفْ، إقْتَربْ تعالَ اعتَصِرْ لا تَحترِق مثلي، أنتَ كأسُ الشبابِ

هو:

أنا أبغيكِ، غير أني أخاف الـ إحتراق الرهيب ... ...

هي:

... ... لا تخشَ ما بي
جسدٌ نابض تطلَّب رعشا تٍ لينسابَ في هدوء العذاب
هات كأسًا وثم أخرى ... فما العمـ ر سوى لذةٍ وكأسِ شَراب!

هو:

وأنا؟ ... ...

هي:

... أنت؟ ذَوبُ شِعر وفَنٍّ عبقريٌّ يَميد في الأوصاب

هو:

شئتُ لو لم أكن صنيعة شَهوا تـــي! ... ...

هي:

... سدًى تَرْتجي! ... ...

هو:

... ... فـيـا لَـخـرابـي
منبع العبقرية الحلو كدَّر ناهُ في رجس خمرة وكعاب
غـيـر أنـي ... ...

هي:

... ... تعالَ! ... ...

هو:

... ... ويحي! ...

هي:

... ... هـراءٌ أنت ما شئتُ ... ...

هو (صارخًا بضعف):

... ... لا! ... ...

هي:

... ... وشاءَتْ رغابي
أنت مِلْكي أردتَ أم لم تُرد ...

هو (مستسلمًا):

... ... لا

هي:

من عيوني نهلت كوب الجُحودِ
مِن رموشي فهمتَ معنى الوجود
وبوجْهي قرأتَ سفر العهودِ
جسدي مَصهرٌ لفن الخلودِ!
كـيـف؟ ... ...

هي:

... أقبلْ! ... ...

هو:

... ... أخاف ... ...

هي (تَنضُو بعض ثيابها):

... ... خذني! ... ...

هو:

... ... سُدًى تبـ ـغين منِّي! فمُتعتي من بعيدِ
أتغذَّى بالفكرا! ... ...

هي (بجنون):

... ... غِـرٌّ! سـيَـنـقـا دُ سريعًا بكِسرَة من وعودِ
زَهِدَ اليوم مذْ رآني كما يَهْـ

(مهدِّدة):

ـوَى غدًا مصرع الغُرورِ العَنيد

(تخرج.)

هو (لنفسه):

أنا يا حسنُ! ... كافر بك! لا أر ضاك إيمانًا لي على طول باعك
أنت منهم معبودهم! ذلَّ معبو دٌ إلى الخزي يرتضي بابتياعك
كنتَ منِّي محطَّ قدسية الأ مس ... إلى أن قضى الهُدى باقتلاعك
لست مني ... ولست منك ... فقد ما لت شراعي فمِلْ إذن بشراعك

٣ نيسان ١٩٤٥

وجهة نظر

حوار في منظر واحد
من الكفر الثاني

المتحاورون

«ذاك»: الأب.

«تلك»: الأم.

«هو»: الابن.

«أنا»: أنا.

(في قبو الزمان.)

ذاك:

«تلك» شاءت! ... ...

هو:

... ... فداكَ نفسي! وما شا ءت ... ...

ذاك:

... ترى فرحةً بعرسِك يا ابْني

هو:

فرحة العرس؟ ويح نفسي عليها أنـا لـمَّـا أزلْ صـغـيـرَ الـسـنِّ

ذاك:

كيف؟ ... ...

هو:

... أنفقتُ مِن حياتيَ عقدَيـ ـــن! ... ...

ذاك:

... أعقدانِ، لا تَرى أن تَبني؟
قل لها يا بُنيَّ إنك ترضى!

هو:

لا! ونفسي فما أُطيق القُيودا
أنا في روضتي، فدعني أشمُّ الـ ـآسَ والـزَّهـرَ والـنَّدى والـوُرودا
لا تُصوِّح شبابيَ البكر في الإصـ ـباحِ دعني حتَّى أشبَّ سعيدا

ذاك:

ضلَّة ما تقول ... ...

هو:

... ... أنـتَ جـلـيـلٌ كيف تَرضى بأن أموتَ اعتصارا
الزواجُ المجلوبُ مقبرة الحـ ـــــــــــــــسِّ ... ...

ذاك:

... ضلالًا ما تدَّعي وشَنارا
سفَّهتْك الأيامُ فانقَدْتَ للطَّيـ ـشِ وحُمِّلتَ رأيها والعارا
الزَّواجُ المَجلوبُ يُسعِدُ ... ...

هو (مقاطعًا):

... ... لا! لا!

ذاك (زاجرًا):

أتَرى أن تَميل بي عن يَقيني؟
لم أُعوَّد تطاولًا منكَ! ...

هو:

... ... عَـفـوًا لم أشأ أن أثير منِّي مُعيني
لـيَ رأيِـي أُحـبُّـه وأراهُ كُن مُعيني علَيه لا تُخزيني

ذاك:

يا بنيَّ ارتدع! فما شئتُ إلا أنْ أراكَ السعيدَ في أيامِك
يا بنيَّ اقتَصِد! ولا تتبنَّى كلَّ رأيٍ تراهُ في أوهامِك
يا بنيَّ الحذار مِن فتنة الطَّيـ ـش ومِن خدعة اندفاع غَرامِك
كُن مثيلي؛ قالوا، فما قلتُ إلا قـولَـهـم ... ...

هو:

... لستُ أستَطيع! ...

ذاك:

... ... أتأْبى؟

هو:

يا أبي! ... ...

ذاك:

... ... مَهْ! ... ...

هو (متوسلًا):

... ... أبي! ... ...

ذاك:

... ... صَهٍ! ... ...

هو:

... ... استمعْ لي!

ذاك (غاضبًا):

قد سمعتُ العقوق يَجحَد ربًّا

هو (مُستعبِرًا):

أبتاه! ... ...

ذاك:

... مَهٍ ... ...

هو:

... ... رضيتُ! ... ...

ذاك (مُعانقًا ابنه):

... ... فـيـا بُـشْـرَاكِ يا «تلك» قد أثابَكِ حبًّا!

أنا:

أنا يا فكر، مؤمن بكَ مَزهوٌّ أراكَ النهارَ في كل ليلِ
كلَّما أطفأ العبيد شعاعًا مِن ضيائي وجدتُ نورَك يُجلي
لم أكن كافرًا وآمنتُ، لكن كنتُ حرًّا بين العبيدِ، فمَن لي
ضاع صوتُ الإخلاص في زحمة الغَد رِ فضمَّ الرئبالُ شبلًا لشبلِ
وانزوى يَفطِم الشِّبال على الثأ رِ، فكَبِّر إما لوى كل عبلِ
فـفـطـامٌ عـن الـلـبـان رَضـاعٌ بدماءٍ في ثَدي جيلِكَ تغلي!

دمشق في ١٦ تشرين الأول ١٩٤٨

مصرع المثَّال

تمثيلية شعرية موسيقية: حوار في مشهدَين من تمثيلية كاملة

(سيُقدر لكامل التمثيلية أن تُطوى ليَظهر هذان المشهدان.)

أصل الأسطورة ما معناه

نحَتَ «بجمليون» — وهو المثَّال القدير — تِمثالًا رائعًا من العاج — وقيلَ مِن غيره — أسماه «جالاتيا» أحبَّه حتى عبَدَه، ثم طلَب إلى الآلهة أن تنفخ فيه من رُوحها، فما إن دبت الحياة في جالاتيا حتى فسَدَت! فعاد «بجمليون» يطلب إلى الآلهة أن تُعيدَها تمثالًا ففعلَت، ثم حطَّم التمثال.

إلى مُلْهمنيها
الأستاذ توفيق الحكيم

تقضي الأمانة الأدبية أن أُشير إلى أن الفضل في اختيار هذه الأسطورة لتكون مادةً لتمثيليتي يرجع إليك يا سيدي الفنان الحق! لأنكَ استطعت بِلُدونة قلمِكَ أن تُغلغِلَ في أطوائي سحر هذه الأسطورة لَمَّا نشرْتَها في كتابك الفني «بجمليون».

فأخذتُ عن قلمكَ هذا السحر الذي رشقتَه بعبقريتك بين أحرف المطبعة الجامِدة، فأحَلْتَها إلى مخلوقات حية مُتحرِّكة لها سحرها ولها تأثيرها العميق وحيويتها الصارخة.

المُتحاوِرون

بجمليون: المثَّال الذي خلَق وحطَّم.

جالاتيا: المخلوق – التمثال – الذي لم يستحقَّ الحياة فتحطَّم.

نرسيس: صديق «بجمليون».

الصديق

أيـهـذا الإنـسـانُ قـدَّسَـك الـلـهُ ... وصـبَّ الإخـلاصَ فـي أعـراقِـك
ونَضا عنكَ صبغةَ اللُّؤم في الفجـ ... ـر، بيوم الميلاد، عند انطلاقِك
وحباكَ الفؤادَ يَنبِض بالحسِّ ... لـتـأسـو الـجـراح مِـن إشـفـاقِـك
وسقاك الحنان في أكؤس الحبِّ ... لـتَـروي الـظـمـآنَ مِـن أخـلاقِـك
ثمَّ سمَّاكَ بـ «الصديق» وإن كنـ ... ـتَ خيالًا لم تأتِ بعدَ انبثاقِك

١٤ / ٣ / ١٩٤٣

المشهد السابع من الفصل الثالث

(الممثل – قواعد رخامية ينتصب على إحداها تمثال «جالاتيا» بعد أن فارقته الحياة وعاد تمثالًا. يدخل «بجمليون» متباطئًا، يبدو عليه الكبر تمامًا، مشعَّث الشعر، زائغ البصر، يلهث لهاثًا مُضطربًا مُتتابعًا، يَستنِد إلى تمثال نِصفي منهوكًا. الرياح في مبدأ ثورتها. موسيقى خفيفة ولكنها تُنذر بالثورة.)

بجمليون (بإعياء!):

وهنَتْ قوَّتي ومِلتُ إلى الموت وعيَّ الـ ... ـلـسـان والـقـلـب يَـقـرع
ويَـقـيـنـي إنَّ الـمـصـيـر قـريـب ... بصري زاغَ والنُّهى ليس يَسمَع
وأراني يَـبـسـتُ عـضـوًا، فـعـضـوًا ... وتـمـشَّـى الإعـيـاء فـيَّ وأسـرع
وتـوالَـتْ نـوائـبُ الـدهـرِ تُـصـمـيـ ... ـني وتَرمي عقيدتي كي أخضَع

وأنا مثلما تكوَّنتُ لا أعنـ ـو لغير الإخلاص للفنِّ أجمَع
كنتُ أبغي ألا أذوبَ وإن ذُبـ ـت ففي ما ابتدعتُ أحيا وأرتَع
كان همِّي ألا أموت َفولَّيـ ـتُ كأن لم أكن وما عدتُ أنفع

(تظهر عليه بوادر الجنون ... يَصرخ):

ويحَ عقلي! كيف انطلقتُ إلى «فيـ ـنوس» أبغي أن تأخُذ الرُّوح منها؟
سحرتني، إذ كيف أطلب هذا؟ أُتراني أعيش بالبُعد عنها؟
يا لعَقلي! ... ...

(يضحك ثم يكفُّ. يقترب من التمثال.)

... ... بَل يا لها من فتاة خيَّبَت ما ظننتُ في تِمثالي
كيف فرَّت مع اللئيم وأبقتْـ[1] ـني وحيدًا أحارُ في أحوالي
كيف فرت؟ ولم أضع في بِناها أيَّ إثم أو خسَّة في الخلال

(ينفجر):

لا! رمتني ودستها! ... ...

(يهدأ قليلًا.)

... ... كيف هذا؟ إنها صِنعَتي وفيها أمالي
أنا أبدعتُها كما شئتُ أنثى مَثَلٌ عالٍ في كمال الكمال
وعبدتُ الجمال فيها فلما حلَّت الروح ضاع حسن الجمال
فاكتسَتْ حُلَّة النساء وسارَت في طريق الوَضاعة القتَّالِ

[1] المقصود باللئيم هنا «نرسيس» صديق بجمليون.

(يصرخ):

أصنيعي العظيم يُمسي وضيعًا؟

(يتعالى صفيرُ العاصفة، مع موسيقى عاصفة.)

خَسِئتْ! لن تعودَ للأوحالِ
أنا إن متُّ قد تَعيشُ ومَن يد ري؟ فقد تَنثني إلى الابتذالِ
ثم تحتلُّ وصمة في جبيني بدلَ الفخر في الورى وجَلالي؟!

ليس من حقِّها الحياة، وحقي الـ موت بل يَقتضي الوفا بالزوال
بعد يوم أمضي وأنتِ؟ ...

(يفتش عن مطرقته فيَعثُر عليها، فيتناولها ويَهجم على التمثال محطِّمًا.)

... ... ستمضيـ
ـن سريعًا! ... ...
... ... وبعدها ... ...
... ... لن أبالي
لن أبالي ... ...
... ... ولن أبالي ...
... ... فمُوتي
ثم مُوتي ... ...
... ... تحطَّمي ...
... ... بامتثالِ

(يدور في المكان محطِّمًا صارخًا منهوكًا.)

سيقولون ... ...
... جُـــنَّ! ... ...
... ... وابتاع بالعقـ
ـل ترابًا ... ...
... ... وعندها ... ...
... ... لا أبـالـي
لا أبـــــالـــــي...

(ينكفئ على وجهه مُغمًى عليه، وتنقطع الموسيقى فجأة، ويبقى صفير العاصفة يخفُّ رويدًا رويدًا.)

المشهد الثامن

(يدخل نرسيس.)

نرسيس:

ما أرى؟ ... ...

(مذعورًا):

... ... مـا أرى؟ ... ...
... ... إلهي إلهي
جُـنَّ بـجـمـالُ ... ...
... ... حطَّمَ التمثالا

(يهرع إلى بجمليون ويجثو إلى جانبه.)

بــأبــي أنــت! ... ...
... ... ما أصابك «بجملــ
ـيون»؟ ... ...
... قـل لـي ... ...

(باكيًا):

... ... فُهْ! ... ...

بجمليون (متحرِّكًا):

... ... لا أخاف الزوالا
لـم أَمُـت بـعـد؟ ... ...

نرسيس (فزعًا):

... ... لِمْ تموتُ؟ ...

بجمليون:

... ... أتـانـي
وحـي نـفـسـي ... ...
... ... فــقــد ... ...
... ... سئمتُ النِّضالا

نرسيس:

أنت حطمتَها؟ ... ...

بجمليون (بضعف):

... ... أجلْ! ... ...

نرسيس:

... ... !ويح نـفسـي فلقد ضاع ما خلقتَ وذالا

بجمليون:

أين منِّي المنقاش؟ ... ...

نرسيس:

... ... ضاع! ...

بجمليون:

... ... أعدْه!

نرسيس:

لن يعود المنقاش ... ...

بجمليون (بصوت ضعيف):

... ... ما أنا أسمع!

نرسيس (بصوت عالٍ):

لن يعود المنقاش ... ...

بجمليون (متوسلًا):

... ... لا! بل أعِدْه
سـوف ... ...
... أحـيـي ... ...
... ... «جالاةً» ... ...
... ... اخـرى ...
... ... وأرفــع!

نرسيس (آسفًا):

لم تَعُدْ قادرًا ... ...

بجمليون (وهو يجود بنفسه):

... ... لــمــاذا ...
... ... لــمــاذا؟
إنْــ... ... ...
...ـنَني ... ...
... ... خـا... ... ...
... ...لـقُ ... ...
... ... سأحْــ... ... ...
... ...ــيا ... ...
... ... وأصْــ...
... ...ـنَع!

(يَقضي.)

نرسيس (مستعبرًا):

عبثًا نطلُب الخلود، بني المو ت، فمَن كان للردَّى ليس يَنفَعْ
كلَّما حاول الصعود تَعالى وتعالى، وسوف ينكبُّ أجدعْ
طينةٌ نحن ليس نعلو عليها وإذا كان فالنُّهى قد يُخدعْ

(إلى بجمليون بحسرة):

عُد كما كنتَ للترابِ ولا تَر جع! وكلٌّ لأصله سوف يَرجِعْ

٣ / ٤ / ١٩٤٤

هنـــداوي